القضاء والقدر من منظور لغوي في القرآن الكريم

طالب الدكتوراه محمد حسن خدري
Mohhamadhasankhedri@gmail.com
الأستاذ المساعد الدكتور أمير توحيدي(الكاتب المسئول)
amir-tohidi-110@yahoo.com
جمهورية إيران الإسلامية
قسم اللاهوت ـ علوم القرآن والحديث ـ بجامعة آزاد الإسلامية ـ فرع طهران المركزي

Fate and destiny from the perspective of linguistic in the Holy Quran

Mohammad Hassan Khedri
Ph.D. student of theology, Quranic sciences and Hadith of Islamic Azad University, Central Tehran Branch
Dr. Amir Towhidi (responsible writer)
Assistant Professor of theology, Quranic Sciences and Hadith of Islamic Azad University, Central Tehran Branch

الملخص:-

إن موضوع القضاء والقدر موضوع مهم؛ لأنه يتعلق بحياة جميع الناس، فما من إنسان يعيش في هذه الحياة، ويسير في مناكبها على أي ديانة كان، وفي أي اتجاه اتجه في حياته العملية أو العقائدية أو غيرها؛ إلا وقضية القضاء والقدر عنده من القضايا التي تشغل باله في كل وقت. ومن ثم فإن الله تبارك وتعالى بين لنا هذه المسألة في كتابه أتم بيان، كما أوضحها لنا رسوله ﷺ على منهج صحيح. وأول ما يتبادر إلى الذهن حول أهمية القضاء والقدر أنه من أركان الإيمان، ونحن نعلم أن الرسول ﷺ حينما سئل عن الإيمان أجاب بالأركان الستة، وختمها بالإيمان بالقدر خيره وشره. والله تبارك وتعالى أخبرنا في كتابه العزيز أنه خلق كل شيء وقدره، وأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بتقديره تبارك وتعالى على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

مسألة القضاء والقدر من المسائل التي كثرت فيها الانحرافات، وتعددت فيها ألاقوال فصار بيان الحق من الباطل فيها مهماً، لو نظرنا إلى ما قبل الإسلام مثلاً لوجدنا أن الفلاسفة والوثنيين بل ومشركي العرب كل منهم خاضوا في مسألة القضاء والقدر، حتى إن مسألة الاحتجاج بالقدر التي نسمعها إلى الآن لو تأملنا في كتاب الله تعالى لوجدنا أن المشركين قد احتجوا بالقضاء والقدر على شركهم فربطوا شركهم بالقدر، واحتجوا بالقدر على شركهم، ولا شك أن حجتهم باطلة. يسعى هذا البحث إلى تبيين ابعاد القضاء والقدر في القرآن الكريم بنهج تحليلي وصفي ومقارن بجمع الآيات القرآنية التي تتعلق بموضوع القضاء والقدر ودراستها دراسة موضوعية، بالرجوع إلى كتب التفاسير.

الكلمات المفتاحية: القضاء، القدر، السياق اللغوي، المنهج القرآني، فهم القدر.

Abstract:-

The issue of fate and destiny is an important issue, because it concerns the lives of all people. No one lives in this life and walks in its orbit on any religion, in any direction, in its practical, ideological or other life. All the time. Hence, Allah is Blessed and Exalted among us this issue in his book the most complete statement, as explained to us by His Messenger, peace be upon him and his family and the correct approach. The first thing that comes to mind about the importance of justice is that it is one of the pillars of faith. We know that when the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) was asked about faith, he answered the six pillars and sealed them with faith in the amount of good and evil. And Allah, Blessed and Exalted be He, told us in His Noble Book that He created everything and His destiny, and that all that is happening in this universe is by His Glorified and Exalted Exalted be He.

The question of justice and fate is one of the many issues in which there are many deviations, and the multiplicity of statements in which the statement of truth becomes false. If we look at the pre-Islamic example, we find that the philosophers, pagans, and even the polytheists all fought in the matter of fate and fate. Now, if we think in the Book of Allaah, we find that the polytheists have protested against the decree of fate on their share, and they have tied their trap to the extent, and protested the extent to their trap, and there is no doubt that their argument is invalid. This research seeks to show the dimensions of the judiciary in the Holy Quran in an analytical and descriptive approach comparing all the Quranic verses Which is Suspended the subject of fate and study objective study, by reference to the books of interpretations.

Keywords: Judgment, fate, linguistic context, Quranic approach, understanding of destiny.

المقدمة:ـ

إن الفلسفات المعاصرة كلها تجعل قضية القضاء والقدر من قضاياها الأساسية، التي تبلور بها ومن خلالها مناهجها وفلسفاتها، فهناك أصحاب مبدأ الحتمية، والجبرية، وهناك أصحاب مذهب الحرية التامة، وهكذا... كل صورة في عصر من العصور نجد في السابق ما يشابهها، فلما كثرت الانحرافات في هذا الباب كان لزاماً بيان الحق في هذه المسألة، وبحثها وفق منهج القرآن الكريم.

أهمية موضوع القضاء والقدر

من خلال ما تم ذكره تبين لنا شيء من شأن القدر وعظمه، وفيما يلي مزيد بيان لأهميته على النحو التالي:

١- ارتباط القضاء والقدر بالإيمان بالله: فالقدر قدرة الله والمؤمن به مؤمن بقدرة الله، والمكذب به مكذب بقدرة الله عز وجل ولارتباطه بحكمة الله عز وجل وعلمه، ومشيئته، وخلقه.

٢- أن القضاء والقدر من الموضوعات الكبرى، والتي خاض فيها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وأديانهم؛ والتي شغلت أذهان الفلاسفة، والمتكلمين، وأتباع الطوائف من أهل الملل وغيرهم.

٣- ارتباط القضاء والقدر بحياة الناس وأحوالهم: فهو مرتبط بحياتهم اليومية وما فيها من أحداث وتقلبات ليس لهم في كثير منها إرادة أو تأثير.

ولو لم يكن هناك إلا مسألة الحياة والموت، وتفاوت الناس في الأعمال والمواهب، والغنى والفقر، والصحة والمرض، والهداية والإضلال لكان ذلك كافياً في أن يفكر الإنسان في القضاء والقدر.

٤- كون القضاء والقدر أعوصَ أبواب العقيدة: فمع أن باب القدر معلوم بالفطرة -كما مر- وأن نصوص الشرع قد بينته غاية البيان إلا أنه يظل أعوص أبواب العقيدة؛ فدقة تفاصيله، وتشعب مسائله، وكثرة الخوض فيه، وتنوع الشبهات المثارة حوله؛

يوجب صعوبة فهمه، وتعسر استيعابه. فلا غرو أن يحار الناس في شأنه في القديم والحديث؛ فلقد سلك العقلاء في هذا الباب كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا كل مضيق، وقصدوا إلى الوصول إلى معرفته، والوقوف على حقيقته؛ فلم يرجعوا بفائدة، ولم يعودوا بعائده، لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانِّه، فتعبوا وأتعبوا، وحاروا وتحيروا، وضلوا وأضلوا.

القضاء في اللغة:

الراغب الاصفهاني في كتاب المفردات القضاء يعرفه بمعنى اتمام الشي فعلاً كان او قولاً. ان نسب إلى الله او لغيرالله.(الاصفهاني، ١٤٢هـ، ص٦٧٤) ابن منظور في لسان العرب اتي بمعاني للقضاء كالآتي: الحكم، القطع، الاِحكام، الاِمضاء، الفراغ، الخلق.(ابن منظور، ١٤١٤، ص١٨٦) ويلزم الانتباه إلى ان كل معاني القضاء تنتهي إلى خاتمه الشي وانقطاعه ويلزم احكام العمل الذي هو يسمي القضاء(ابن فارس، ١٤٠٤هـ، ص٩٩).

ويعتقد البعض ان القضاء بمعنى انهاء خواتيم العمل وعلي خلاف راي ابن فارس ذكروا الاتقان من مصاديق القضاء (مصطفوي، ١٣٦٠ش، ص٢٨٦).القضاء هو الحكم والحتم، وأصله القطع والفصل وقضاء الشيء وإحكامه والفراغ منه.(ابن منظور، ٧١١هـ، ص١٨٦).

في كتاب الفقه المنسوب إلى الامام الرضا عليه السلام في رواية من امير المؤمنين عليه السلام ان القضاء استخدم بمعاني اربع:

الف) القضاء بمعنا الخلق ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت/٣١٢).

ب) القضاء بمعنى الحكم: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ (زمر/ ٦٩).

ج) القضا بمعنى الامر: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (اسراء/ ٢٣).

د) القضاء بمعنى العلم: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الاسراء/٤).

من الواضح ان المعاني التي ذكرت حول القضاء لا تختلف مع المعني في اللغة التي بمعنى((القطع، الحتم، الوقوع)) بل انه من المصاديق المختلفة التي استعملت في القضاء في

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

آيات القرآن.

قال ابن فارس رحمه الله في مادة (قضى): القاف، والضاد، والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته.(ابن خلكان، لاتا، ص١١٩).

قال الله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: ١٢)

أي أحكم خلقهن: (الحموي، ٦٢٦هـ، ص١٢٧٥)

القدر في اللغة:

يرى بعض اللغويين ان القدر او التقدير هو بمعنى ((تبيين كميه الشي)) و((مبلغ الشيء)) لأنه من الواضح ان تبيين كميه شيء هو ابانه كمه الذي يساوي كمثل آيه ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ (طلاق/ ٧) استخدم بمعنى الضيق. لانه موضوع الآية الذين هم في ضيق من الحياه على خلاف الذين هم مغنون من كل الجوانب(الراغب الاصفهاني، ١٤١٢هـ، ص٦٥٨).

القدر مصدر الفعل قَدِرَ يقْدَرُ قدراً، وقد تسكن داله. (ابن الأثير، ٦٠٦هـ، ص٢٢).

قال ابن فارس: في مادة (قدر): القاف، والدال، والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنه، ونهايته؛ فالقدْر مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُه كذا أي مبلغه، وكذلك القدَرُ، وقدَرْت الشيء أقدِره وأقدُره من التقدير".(المصدر السابق، ٢٣)

والقدَر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدِّره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والتقدير: التروية، والتفكير في التسوية أمر، والقَدَرُ كالقَدْر وجميعها جمعها: أقدار. (ابن منظور، ٧١١هـ، ص٧٢)

والفرق بين القدر والتقدير كما يقول أبو هلال العسكري "أن التقدير يُستعمل في أفعال العباد ولا يُستعمل القدر إلا في أفعال الله عز وجل ". (العسكري، ٣٩٥هـ، ص١٩١).

القضاء والقدر في الاصطلاح:

هناك من عرف القضاء أو القدر بعمومه من دون الإشارة الى مراتبه أو أركانه ومنهم

الجرجاني رحمه الله: عرف القضاء بقوله: ((عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد)).(الجرجاني، ٨١٦هـ، ص١٧٧).

وهذا التعريف صحيح، ولكن ينقصه الشمول، واستيعاب جميع الأفراد؛ وهي مراتب القدر الأربع.

ويمكن أن يعرف القضاء والقدر بأحد التعريفات التالية:((هو ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد، وأنه عز وجل قدر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تقع في الأزل، وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى وعلى صفات مخصوصة؛ فهي تقع على حسب ما قدرها)). (السفاريني، ١١٨٨هـ، ص٣٤٨).

وعرفه الدكتور عبد الرحمن المحمود بقوله: ((هو تقدير الله تعالى للأشياء في القِدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها.

وهذا التعريف من أجمع التعاريف، وأشملها. ويمكن أن يعرف القضاء والقدر تعريفاً مختصراً فيقال: هو علم الله بالأشياء، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها)). (المحمود، ١٤١٨هـ، ص٣٩).

اطلاق القضاء في القرآن الكريم.

يطلق لفظ القضاء في القرآن الكريم على إطلاقات عديدة منها: (الدينوري، ٢٧٦هـ، ص ١٣٨-١٣٩)

أ- الوصية والأمر: قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ (الإسراء: ٢٣)، أي أمر وأوصى.

ب- الإخبار: قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ (الإسراء: ٤)

ج- الفراغ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٠٠)، وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ (النساء: ١٠٣)

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

د-الفعل: قال تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾ (طه: ٧٢)

هـ- الوجوب والحتم: قال تعالى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ (يوسف: ٤١)

و- الكتابة: قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم: ٢١)

ز- الإتمام: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ (القصص: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ (القصص: ٢٨)

ح- الفصل: قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ (الزمر: ٦٩)

ط- الخلق: قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ (فصلت: ١٢)

ي- القتل: قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (القصص: ١٥)

مسمى القدر في القرآن الكريم:

يذكر القدر في القرآن بعدة مسميات منها: (البغدادي، ١٤٢٣هـ، ص ٥٧٦)

أ- التضييق: قال تعالى ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ (سورة الفجر:١٦)

ب- التعظيم: قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الأنعام: ٩١)

ج-الاستطاعة، والتغلب، والتمكن: قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ (سورة المائدة:٣٤)

د- التدبير: قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (المرسلات: ٢٣)، أي دبَّرنا الأمور، أو أردنا وقوعها بحسب تدبيرنا.

هـ- تحديد المقدار، أو الزمان، أو المكان: قال تعالى ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ (سبأ: ١٨)، وقال: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت: ١٠)

و- الإرادة: قال تعالى: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر: ١٢) أي دبِّر، وأريد وقوعه.

ز- القضاء والإحكام: قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (الواقعة: ٦٠). أي قضينا، وحكمنا.

ح- التمهل والتَّروي في الإنجاز: قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ (المدثر: ١٨)، أي تمهَّل، وتروَّى؛ ليتبين ما يقوله في القرآن. وقال: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ (سبأ: ١١)، أي تمهلْ، وتروَّ في السرد؛ كي تحكمه.

ط- الصنع بمقادير معينة: قال تعالى: ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾ (الإنسان: ١٦)

العلاقة بين القضاء والقدر:-

وقع الاختلاف في التعبير عن العلاقة بين القضاء والقدر، إذ تباينت أقوالهم في تحديد ذلك، وللعلماء في ذلك عدّة أقوال، نجملها فيما يلي: انقسم العلماء في ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: قالوا بأنه لا فرق بين القضاء والقدر، فكل واحد منهما في معنى الآخر، فإذا أطلق التعريف على أحدهما شمل الآخر، ولذلك إذا أطلق القضاء وحده فسر بالقدر، وكذلك القدر، فلا فرق بينهما في اللغة، كما أنه لا دليل على التفريق بينهما في الشرع.

الفريق الثاني: قالوا بالفرق بينهما، ولكن هؤلاء اختلفوا في التمييز بينهما على أقوال:

القول الأول: رأي أبي حامد الغزالي، أن هناك بالنسبة لتدبير الله وخلقه ثلاثة أمور:

١- الحكم: وهو التدبير الأول الكلي، والأمر الأزلي.

٢- القدر: وهو توجيه الأسباب الكلية بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها المعدودة المحدودة، بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص.

القول الثاني: من فرق بينهما بأن القضاء: هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر: الحكم بوقوع الجزيئات لتلك الكليات على سبيل التفصيل. (العينى، ٨٥٥هـ، ص١٤٥).

القول الثالث: أن القدر هو التقدير والقضاء هو التفصيل والتقطيع، فالقضاء أخص من القدر الذي هو كالأساس.(الراغب الأصفهانى، ٥٠٢هـ، ص ٤٢٢)

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

١- والقدر إيجاد الله الأشياء على مقاديرها المحددة في كل ما يتعلق بها.(الميداني، ١٩٧٩م، ص٤١٤)

٢- ولا فائدة من هذا الخلاف، وعلى هذا فيكون التعريف السابق للقضاء والقدر شرعاً هو الراجح.

الأدلة من القرآن الكريم:

وردت آيات في كتاب الله تعالى تدل على أن الأمور تجري بقدر الله تعالى وعلى أن الله تعالى علم الأشياء وقدرها في الأزل، وأنها ستقع على وفق ما قدره الله سبحانه وتعالى، ومن هذه الآيات:

١- قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨)

ومعنى هذه الآية: ((أن الله عز وجل قدَّر أن يخلق خلقاً، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثواباً لأهل طاعته، وعقاباً لأهل معصيته، فلما قدَّره كتب ذلك وغيَّبه، فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب: أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة، فكان أمر الله الذي مضى، وفرغ منه، وخلق الخلق عليه قدراً مقدوراً)). (الآملي، ٣١٠هـ، ص ٢٧٦).

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)

ومعنى الآية: أن الله سبحانه قدر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها، وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته، وإرادته.(المعافري، ٢٠٠٣م، ص١٤٨)

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢). وهذا عام في كل شيء، وذهب قوم من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة.(ابن الجوزي، ١٩٨٧م، ص٥٢٩)

٤- وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (المرسلات: ٢١)

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

٥- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه: ٤٠). أي أنه جاء موافقاً لقدر الله تعالى وإرادته على غير ميعاد.(ابن كثير، ١٩٨٨م، ص٢٥٩).

٦- قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (الفرقان: ٢)

٧- قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ (عبس: ١٩)

٨- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ (الأعلى: ٣)

٩- قوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ (الأنفال: ٤٢)

١٠- قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ (الإسراء: ٤)

فهذه الآيات تفيد الإخبار عن قدر الله الشامل لكل شيء، وأخبار القرآن مقطوع بها.

دلالة الفطرة:

الإيمان بالقدر يتضمن علم الله بالأشياء، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه. وهذه الأمور معلومة بالفطرة، وكذلك فإن الإيمان بالقدر معلوم بالفطرة قديماً وحديثاً، ولم ينكره إلا الشواذُّ من المشركين من الأمم، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره، وإنما وقع في فهمه على الوجه الصحيح؛ ولهذا قال سبحانه عن المشركين ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ١٤٨).(ابن جرير، ٣١٠هـ ، ص٧٩).

فهم أثبتوا المشيئة لله، لكنهم احتجوا بها على الشرك، ثم بيَّن سبحانه أن هذا هو شأنُ من كان قبلهم، فقال: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (الأنعام: ١٤٨)

وكانت العرب في الجاهلية تعرف القدر ولا تنكره، ولم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف.

وهذا ما نجده مبثوثاً في أشعارهم كما مر في المقدمة، وكما في قول عنترة:

يا عبلُ أين من المنية مهربي ... إن كان ربي في السماء قضاها

(ديوان عنترة، ١٣٩٨هـ:ص٧٤)

كما نجد ذلك أيضاً في خطبهم، كما في قول هانئ بن مسعود الشيباني. (الزركلي، ١٩٧٩م، ص ٥٢-٥٣) في خطبته المشهورة في يوم ذي قار: ((إنَّ الحذر لا يُنجي من القدر)). (زكي صفوت، ١٩٦٢م، ص٣٧)

دلالة العقل:

أما دلالة العقل فهي: أن العقل الصحيح يقطع بأن الله هو خالق هذا الكون، ومدبره، ومالكه، ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة؛ إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟ فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيء في ملكه إلا ما قد شاءه وقدَّره.(السعدي، ١٣٧٢هـ، ص١٩٤)

ومما يدل على هذا التقرير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (الطلاق: ١٢) ثم إن تفاصيل القدر لا ينكرها العقل، بل هي مما يتفق معه تمام الاتفاق.

دلالة الحس:

نحن نشاهد ونسمع، ونقرأ أن الناس تستقيم أمورهم بالإيمان بالقضاء والقدر، وسيمر شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بالقدر، فالمؤمنون به على الوجه الصحيح هم أسعد الناس، وأصبرهم، وأشجعهم، وأكرمهم، وأكملهم، وأعقلهم.

مراتب القدر وأقسامه وفيه مبحثان:

القدر يقوم على أربعة أركان أو مراتب هي: العلم. والكتابة والمشيئة والخلق. (الجوزية، ١٩٨٧م، ص١١٦)

الأولى: العلم:

وهو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلاً، وأبداً، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله، أو بأفعال عباده؛ فعلمه محيط بما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

وهذه المرتبة وهي العلم السابق اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم. (المصدر السابق، ص٦١)

والأدلة على هذه المرتبة من القرآن الكريم مستفيضة منها:

١- قوله عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠) قيل: إنه علم من إبليس المعصية وخلقه لها.(المصدر السابق نفسه) وقيل: كان علمه أنه سيكون من تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنوا الجنة(٤٤).(نفس المصدر)

٢- قوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ (الجاثية: ٢٣)

قال ابن عباس: "علم ما يكون قبل أن يخلقه"، وقال أيضاً: ((على علم قد سبق عنده، وقال أيضاً: يريد الأمر الذي سبق له في أم الكتاب)).(المصدر السابق، ص٦٢)

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: ٢٨) فهذا إضلال ناشئ عن علم الله السابق في عبده أنه لا يصلح للهدى، ولا يليق به، وأن محله غير قابل له؛ فالله أعلم حيث يضع هداه وتوفيقه كما هو أعلم حيث يجعل رسالته. (المصدر السابق، ص٦٥)

الثانية: الكتابة

وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ.

وقد اجمع على أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب. (المصدر السابق، ص٨٩) التي هي اللوح المحفوظ، والذكر، والإمام المبين، والكتاب المبين. والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب:

١- قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠)

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

فما كتبه الله عز وجل وأثبته عنده كان في علمه قبل أن يكتبه، ثم كتبه كما في علمه، ثم وُجِدَ كما كتبه عز وجل. (الجوزية، ١٩٨٧م، ص٧٤)

٢- قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس: ١٢)

قوله: وكل شيء أي من الأعمال والنيات وغيرها.

﴿أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي في كتاب هو أم الكتاب، وإليه مرجع الكتب التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ. (المصدر السابق، ص٨٦)

٣- قوله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١) أي ما قدره الله، وأجراه في اللوح المحفوظ.(السعدي، ١٣٧٦هـ، ص٢٤٦)

٤- وقال تعالى عن محاجة موسى عليه الصلاة والسلام لفرعون: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ (طه: ٥١ ـ ٥٢)

أي قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتابه، وهو اللوح المحفوظ، وأحاط به علماً وخُبْراً؛ فلا يضل عن شيء منها، ولا ينسى ما علمه منها.(المصدر السابق، ص١٦٣)

٥- وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٥) أي كتبنا في الكتاب المزبور، والمراد: الكتب المنزلة كالتوراة ونحوها.

"من بعد الذكر" أي كتبناه في الكتب المنزلة بعدما كتبنا في الكتاب السابق، وهو اللوح المحفوظ، وأم الكتاب الذي توافقه جميع التقادير المتأخرة عنه. (المصدر السابق، ص٢٦٧)

٦- وقال تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٨)

أي سبق به القضاء والقدر أنه قد أحل لكم الغنائم، وأن الله قد رفع عنكم - أيتها الأمة - العذاب "لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم". (المصدر السابق، ص١٩١)

الثالثة: المشيئة

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركة، ولا سكون، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته. وهذه المرتبة قد

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقل والبيان". (الجوزية، ١٩٨٧م، ص٩٢)

والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جداً من القرآن الكريم منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ (القصص: ٦٨)

في هذه الآية دليل على عموم خلقه تعالى لسائر المخلوقات، ونفوذ مشيئته بجميع البريات، وانفراده عز وجل باختيار من يختاره ويختصه من الأشخاص، والأوامر، والأزمان، والأماكن، وأن أحداً ليس له من الأمر والاختيار شيء.(المصدر السابق، ص٥٢).

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير:٢٩)

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ (الكهف:٢٣)

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ (الأنعام: ١١١)

٥- قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأنعام: ٣٩)

ومشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان، وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن، ولا هو كائن، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون؛ لعدم مشيئته له، لا لعدم قدرته عليه.

الرابعة: الخلق:

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، وبأن كل من سوى الله مخلوق مُوْجَدٌ من العدم، كائن بعد أن لم يكن.

وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية، وأجمع عليها الرسل عليهم الصلاة والسلام واتفقت عليها الفطر القويمة، والعقول السليمة.(ابن القيم الجوزية، ١٩٨٧م، ص١٠٨) والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصر منها:

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

١- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الزمر: ٦٢)

٢- قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (الأنعام: ١)

أقسام التقدير:

قسم العلماء التقدير باعتبار نسبته إلى الله عز وجل إلى خمسة أقسام، وهي كما يلي:

١- التقدير العام: وهو تقدير الرب لجميع الكائنات، بمعنى علمه بها، وكتابته لها، ومشيئته، وخلقه لها. ويدل على هذا النوع أدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحج: ٧٠)

٢- التقدير البشري: وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٧٢)

٣- التقدير العمري: وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابةُ شقاوته، أو سعادته.

وقد دل على ذلك حديث الصادق المصدوق في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل المَلَك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أو سعيدٌ"

٤- التقدير السنوي: وذلك في ليلة القدر من كل سنة، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (القدر: ٤ – ٥). ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

قيل: يكتب فيها أي هذه الليلة ما يحدث في السنة من موت وحياة، وعز وذل، ورزق ومطر، حتى الحجاج يُقال: يحج فلان، ويحج فلان.

٥- التقدير اليومي: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩)

قيل في تفسيرها: شأنه أن يُعِزَّ ويُذِل، ويرفع ويخفض، ويُعطي ويمنع، ويُغني ويُفقر، ويُضحِكَ ويُبكي، ويُميت ويُحيي، إلى غير ذلك.(ابن كثير، ٢٠٠٢م، ص٢٧٥)

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

الثمرات الإيمانية العقائدية:

للإيمان بالقدر ثمرات إيمانية وعقدية تعود على إيمان العبد بالزيادة، وعلى عقيدته بالثبات، ومن ذلك:

١- أداء عبادة الله عز وجل: فالإيمان بالقدر مما تعَبَّدنا الله به، وكمال المخلوق في تحقيقه العبودية لربه، وكلما ازداد تحقيقاً للعبودية ازداد كمالُه، وعلت درجتُه، وكان كل ما يجري عليه مما يكرهه خيراً له، وحصل له من جرَّاء ذلك الإيمانِ عبودياتٌ كثيرة، سيأتي ذكرٌ لشيء منها.

٢- الخلاص من الشرك: فالمجوس زعموا أن النورَ خالقُ الخيرِ، والظلمةَ خالقةُ الشرِّ، والقدرية قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد، بل العباد يخلقون أفعالهم؛ فأثبتوا خالِقِينَ مع الله جل وعلا.(الشهرستاني، ٥٤٨ق، ص٢٣٣)

وهذا الضَّلال شركٌ، والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد لله عز وجل. وهذا يبعثه إلى إفراد الله بالعبادة وحده دون من سواه، فلا يتقرب لغير الله، ولا يتمسح بأتربة القبور وعتبات الصالحين.

٣- حصول الهداية وزيادة الإيمان: فالمؤمن بالقدر على الوجه الصحيح يتحقق توحيده، ويزيد إيمانه، ويسير على هُدى من ربه؛ ذلك أن الإيمان بالقدر من الاهتداء، والله عز وجل يقول: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمّد: ١٧).

ويقول: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١١)

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

٤- الإخلاص: فالإيمان بالقدر يحمل صاحبه على الإخلاص، فيكون الباعث له في جميع أعماله امتثال أمر الله.(الجوزية، ١٤١٠هـ، ص٩٣)

فإذا أيقن العبد أن هذه الأمورَ لا تُنال إلا بتقدير الله عز وجل وأن الناس ليس لهم من الأمر شيء في أنفسهم ولا في غيرهم لم يعد يبالي بالناس، ولم يَسْعَ إلى إرضائهم بسخط الله، فينقاد إلى إيثار الحق على الخلق، وإلى الإخلاص والتفريد، بعيداً عن كل رياءٍ وتنديد. ومن هنا ينال فضيلة الإخلاص وأكرم بها من فضيلة؛ فالإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقيَ للفلاح، وهو الذي يحمل الإنسان على مواصلة عمل الخير، وهو الذي يجعل في عزم الرجل متانة، ويربط على قلبه، فيمضي حتى يبلغ الغاية.

٥- صحة التوكل وتمامه: فالتوكل على الله هو لُبُّ العبادة، ولا يصح التوكل ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر على الوجه الصحيح. (الجوزيه، ١٤٠٦هـ، ص٢٠١).

٦- الخوف من الله: فالمؤمن بالقدر تجده دائماً على خوف من الله، وعلى حذر من سوء الخاتمة؛ إذ لا يدري ما يُفعل به، ولا يأمن مكر الله.

٧- قوة الرجاء وإحسان الظن بالله: فالمؤمن بالقدر حَسَنُ الظن بالله، قويُّ الرجاء به؛ لعلمه بأن الله لا يقضي قضاءً إلا وفيه تمام العدل والرحمة والحكمة.(الجوزية، ١٤١٠هـ، ص١٩٩).

٨- الرضا: فالمؤمن بالقدر قد تسمو به الحال، فَيَصِلُ إلى منزلة الرضا، فمن رضي عن الله رضي الله عنه، بل إن رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه؛ فهو محفوف بنوعين من رضاه عن عبده: رضاً قبله أوجب له أن يرضى عنه، ورضاً بعده هو ثمرة رضاه عنه.

٩- الشكر: فالمؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فهي من الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمة، فيبعثه ذلك على إفراد الله بالشكر؛ فإذا نزل به ما يحب شكر الله عليه؛ إذ هو المنعم المتفضل، وإذا نزل به ما يكرهه شكر الله على ما قدَّره عليه.

١٠- الفرح: فالمؤمن بالقدر يفرح بهذا الإيمان الذي حرم منه أكثر الخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس: ٥٨)

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

ثم إن المؤمن بالقدر قد يرتقي به الحال من الرضا بقضاء الله والشكر له فيما يقدره حتى يصل إلى منزلة الفرح، فيفرح بكل ما يقدره الله ويقضيه عليه.

١١-العلم بحكمة الله عز وجل: فالإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله عز وجل فيما يقدره من خير أو شر، فيعلم أن وراء تفكيره، وتخيلاته من هو أعظم وأعلم، وأحكم.

١٢- تحرير العقول من الخرافات والأباطيل: فمن بدهيات الإيمان بالقدر الإيمانُ بأن ما جرى وما يجري، وما سيجري في هذا الكون إنما هو بقدر الله عز وجل وأن قدر الله سر مكتوم، لا يعلمه إلا هو، ولا يُطلع عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً.

الثمرات الأخلاقية:

للإيمان بالقدر ثمرات أخلاقية تعود على المؤمن به بحسن الخلق، وطيب النفس، وحسن المعشر ومن تلك الثمرات ما يلي:

١- الصبر: فالإيمان بالقدر يثمر لصاحبه عبودية الصبر على الأقدار المؤلمة، والصبرُ من جميل الخلال، ومن محمود الخصال، له فوائده الجمة، وعوائده الكريمة، وله عواقبه الجميلة، وآثاره الحميدة. وكل أحد من الناس لابد له من الصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً وإما اضطراراً؛ فالكريم يصبر اختياراً؛ لعلمه بحسن عاقبة الصبر، وأنه يحمد عليه، ويذم على الجزع، وأنه إن لم يصبر لم يردَّ عليه الجزع فائتاً، ولم ينتزع منه مكروهاً؛ فمن لم يصبر صبر الكرام سلا سلوَّ البهائم.(الجوزية، ١٤٠٨هـ، ص ١٢٤).

٢- التواضع: فالإيمان بالقدر يحمل صاحبه على التواضع مهما أوتي من مال، أو جاه، أو علم، أو شهرة، أو نحو ذلك؛ لعلمه بأن ما أوتيه إنما هو بقدر الله، وأنه عز وجل لو شاء لانتزعه منه. ومن هنا يتواضع لله عز وجل ويتواضع لبني جنسه، وينأى بنفسه عن الكبر والخيلاء.

٣- الكرم والسخاء: ذلك أن المؤمن بالقدر يعلم علم اليقين بأن الله هو الرزاق، وهو الذي قسم بين الخلق معيشتهم؛ فكلٌ له نصيبه، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

وأجلها، ولن يفتقر أحد إلا بقدر الله عز وجل.

٤- الشجاعة والإقدام، واطراح الخور والجبن: فالإيمان بالقدر يملأ قلب صاحبه شجاعةً وإقداماً، ويُفْرِغهُ من كل خور وجبن؛ لأن المؤمن بالقدر يعلم أنه لن يموت قبل يومه، ولن يصيبه إلا ما كُتب له، وأن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروه لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله له.

٥- علو الهمة: فعلو الهمة يعني استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، ودنو الهمة بالعكس من ذلك؛ فهو إيثار الدَّعة، والرضا بالدون، والقعود عن معالي الأمور.

٦- الحزم والجد في الأمور: فالمؤمن بالقدر حازم في أموره، منتهز للفرص التي تمر به، حريص على كل خير ديني أو دنيوي؛ إذ الإيمان بالقدر يدعو إلى ذلك؛ فلم يكن داعية إلى البطالة، والإقلال من العمل البتة.

٧- السلامة من الحسد والاعتراض: فالإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها، وذلك مثل رذيلة الحسد؛ فالمؤمن بالقدر لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم، وقدر لهم أرزاقهم، فأعطى من شاء، ومنع من شاء ابتلاءً، وامتحاناً، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله. فإذا آمن بالقدر سَلِمَ من الحسد، وسَلِمَ من الاعتراض على أحكام الله الشرعية، وأقداره الكونية، وسَلَّم لله في جميع أموره.(البحوث الإسلامية، ١٤١٣هـ، ص٢٥٠)

الثمرات النفسية:

ثمة ثمرات نفسية جميلة في حال الإيمان بالقضاء والقدر تعود على صاحبها بالراحة، والطمأنينة والسكينة، وتُضفي عليه أمناً، وهدوءَ بال، ومن ذلك ما يلي:

١- محاربة اليأس:

فالذي لا يؤمن بالقدر يصيبه اليأس، ويدِبُّ إلى روُعه القنوط؛ فإذا أصيب ببلية ظن أنها قاصمة ظهره، وإذا نزلت به نازلة حسب أنها ضربة لازب لن تبارحه.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

وكذلك إذا رأى ما عليه الباطل من صولة وجولة، وما عليه أهل الحق من ضعف وتخاذل ظن أن الباطل سيستمر، وأن الحق سيضمحل؛ فاليأس سم قاتل، وسجن مظلم، يُعَبِّسُ الوجه، ويصد النفس عن الخير، ولا يزال بالإنسان حتى يهلكه، أو ينغص عليه حياته.

أما المؤمن بالقدر فلا يعرف اليأس، ولا تراه إلا متفائلاً في جميع أحواله، منتظراً الفرج من ربه، عالماً بأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً.

٢- قوة الاحتمال:

فالمؤمنون بالقدر حقاً هم أقوى الناس نفوساً، وأكثرهم احتمالاً، وأقلهم جزعاً

ولذلك يكثر الانتحار في البلاد التي لا يؤمن أهلها بالقضاء والقدر، كأمريكا والسويد، والنرويج، وغيرها، بل لقد وصل الأمر ببعض البلاد إلى فتح مستشفيات للانتحار!

٣- القناعة وعزة النفس:

فالمؤمن بالقدر يعلم بأن رزقه مكتوب، وأنه لن يموت حتى يستوفيه، وأن الرزق لا يجلبه حرص حريص، ولا يمنعه حَسَدُ حاسدٍ، وأن الخلق مهما حاولوا إيصال الرزق إليه، أو منعه عنه فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله له.

ومن هنا ينبعث إلى القناعة بما أوتي، وإلى عزة النفس والإجمال في الطلب، وإلى التحرر من رق الخلق ومنَّتِهم.

٤- الاعتدال حال السراء والضراء:

فالإيمان بالقدر يحمل على الاعتدال في سائر الأحوال؛ ذلك أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا يتقلب في أحوال عديدة؛ فقد يبتلى بالفقر، وقد ينال نصيباً وافراً من الدنيا، وقد ينعم بالصحة، وقد يبتلى بالأمراض، وقد ينال ولايةً وشهرةً وبُعْدَ صيتٍ، وقد يعقب ذلك عزلٌ، وذلٌّ، وخمولُ ذكرٍ. ولهذه الأمور وأمثالها أثر على النفس؛ فالفقر قد يقود إلى الذلة والخنوع، والغنى قد تتغير به أخلاق اللئيم بطراً، وتسوء طرائقه أشراً. والمرض قد يتغير به الطبع، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال، ولا يقدر معه المرء على احتمال. وكذا الولاية قد تحدث في الأخلاق تغيراً، وعلى الخلطاء تنكراً، إما من لؤم طبع، وأما من ضيق صدر. وفي مقابل ذلك العزلُ؛ فقد يسوء به الخلق، ويضيق به الصدر؛ إما لشدة أسف، أو لقلة صبر.

وهكذا لا تستقيم الأحوال على حد الاعتدال؛ لأن في العباد قصوراً، وجهلاً، وضعفاً، ونقصاً. إلا من آمن بالقدر حقيقة؛ فلا تبطره النعمة، ولا تُقَنِّطه المصيبة؛ فلا تطيش به الولاية في زهو، ولا ينزل به العزل في حسرة، ولا يحمله الغنى على الأشر والبطر، ولا ينحط به الفقر إلى الذلة والخضوع.

فالمؤمنون بالقدر يتلقون المسارَّ والمحابَّ بقبول لها، وشكر لله عليها، واستعانة بها على أمور الدين والدنيا، فيحصل لهم من جرَّاء ذلك من الخيرات والبركات ما تتضاعف به مسراتهم. ويتلقون المكاره بالرضا، والاحتساب، و التحمل، والمقاومة لما يمكنهم مقاومته، وتخفيف ما يمكنهم تخفيفُه، وبالصبر الجميل لما لابد لهم منه، فيحصل لهم بسبب ذلك خيرات عظيمة تضمحل معها المكاره، وتحل محلها المسار والآمال الطيبة.(اسماعيل المقدم، ٢٠٠٤م، ص٢٣٠).

٥- سكون القلب وطمأنينة النفس، وراحة البال:

فهذه الأمور من ثمرات الإيمان بالقدر، وهي داخلة في كثير مما مضى ذكره من الثمرات، وهي مطلبٌ مُلِحٌ، وهدف منشود، وغاية مُبْتَغَاةٌ؛ فكل من في الأرض يتغيها، ويبحث عنها، ويسعى لها سعيها، ولكن كما قيل:

كل من في الوجود يطلب صيداً ... غير أن الشباك مختلفاتُ

فلا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها، ولا يعلم ثمراتها إلا من آمن بالله وقضائه وقدره؛ فالمؤمن بالقدر ساكن القلب، مطمئن النفس، مرتاح البال، لا يفكر كثيراً في احتمال الشر، ثم إن وقع لم يطِرْ له قلبه شَعاعاً، بل يتحمل ذلك بثبات وصبر؛ إن مرض لم يضاعف مرضه بوهمه، وإن نزل به مكروه قابله بجأش رابط فخفف حدته؛ فمن الحكمة ألا يجمع الإنسان على نفسه بين الألم بتوقع الشر، والألم بحصول الشر. بل يسعد ما دامت أسباب الحزن بعيدة عنه، فإذا حدثت قابلها بشجاعة واعتدال. وإنك لتجد عند خواصِّ المسلمين من العلماء العاملين، والعباد القانتين المتبعين من سكون القلب وطمأنينة النفس ما لا يخطر ببال، ولا يدور حول ما يشبهه خيال؛ فلهم في ذلك الشأن القِدْحُ المعلى، والنصيب الأوفى.(السعدي، ١٣٧٢هـ، ص٤٩٥).

لا تعارض بين الشرع والقدر، وأن الأمة الإسلامية مأمورة بالإيمان بالقضاء والقدر والتصديق به، وكل من الناس لا يعلمه إلا بعد وقوعه، وهي مأمورة في مستقبل أمرها

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

باتباع شرع الله سبحانه وتعالى. ثمة بعض الطوائف غلّبت القضاء والقدر على حساب الشرع فنشأت الجبرية الذين يقولون كل شيء مقدّر، ويجب أن نستسلم لهذا الأمر المقدر، حتى إن بعضهم إذا رأى غلبة الكفار رضي بذلك وسلّم، وإذا رأى غلبة المسلمين رضي بذلك وسلّم دون أن يفرق بين الحالتين، وهي نوع من الجبر. وقسم ثان من الناس رأى أهمية الشرع فغلّب جانب الشرع وطاعة الله على حساب القضاء والقدر فأنكر قدر الله، وسننه الكونية، من أنها ماضية ويجب الأخذ به وجعلها في الاعتبار. فإذا نظرنا إلى واقع الأمة الإسلامية فنجد أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالاستمساك بهذا الدين أمرنا بالدعوة إلى الله أمرنا بجهاد الكفار حين يكون عندنا قدرة على ذلك، وأمرنا بإزالة الضعف في أحوال الأمة الإسلامية. ويجب أن نعلم علم اليقين أن تغيير هذا الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية ممكن، وأن وسائلة واضحة والحمد لله مثل الشمس ويبقى علينا العمل، وألا نقع في أنواع من الخلل.(المحمود، ١٤١٨هـ، ص٤٥٨).

فالإيمان بالقدر" خيره وشره " هو نظام التوحيد كما أن الإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليهما "هو نظام الشرع" ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع، فمن نفى القدر وزعم منافاته للشرع فقد عطل الله عن علمه وقدرته ومعاني ربوبيته، وجعل العبد مستقلا بأفعاله، خالقاً لها فأثبت خالقاً آخر مع الله تعالى، بل أثبت أن لجميع المخلوقين خالقون ومن أثبته محتجاً به على الشرع محارباً له به نافيا عن العبد قدرته التي منحه الله تعالى إياها وأمره ونهاه، فقد نسب الله تعالى إلى الظلم، وإلى العبث، وإلى ما لا يليق به، فالمؤمنون حقاً يؤمنون "بالقدر خيره وشره" وأن الله تعالى خالق ذلك كله لا خالق غيره ولا رب سواه وينقادون للشرع أمره ونهيه ويصدقون خبر الكتاب والرسول ويحكمونه في أنفسهم سراً وجهراً وهذا هو الإيمان الخالي من الزلل.(آل مهدي، ١٤٠٦هـ، ص٢٣).

علاقة القضاء والقدر بواقع الناس وفيه

أولاً: تأثير القضاء والقدر على واقع الناس.

فواقع الناس يتأثر سلباً أو إيجاباً بالإيمان بالقضاء والقدر حيث إن الإيمان بالقضاء والقدر له آثار كبيرة على الفرد والمجتمع ونستطيع أن نجملها بعضها فيما يلي:

القدر من أكبر الدواعي التي تدعوا الى العمل والنشاط والسعي بما يرضي الله تعالى في هذه الحياة، والإيمان بالقدر من أقوى الحوافز للمؤمن لكي يعمل ويقدم على عظائم الأمور بثبات وعزم ويقين. وسيلة من وسائل مكافحة الأمراض النفسية والانتحار وغيرها من المشاكل التي تعترض الإنسان في هذه الدنيا حيث أنه معّرض لفقد المال والولد ومعرض للمرض ونحو ذلك من المصائب والمشاكل التي تحل بالإنسان لا علاج لها إلا التسليم بقضاء الله وقدره وأنك بقدر ما تسلم بقضاء الله وقدره بقدر ما تزول عنك أمراض نفسية كثيرة. أن الإنسان يتعود الصبر والتحمل وذلك يزيده قوة وشجاعة وثبات ومعاودة الكرة بعد الأخرى حتى يحقق الله له النجاح كلمّا عّود نفسه الصبر والتحمل كلّما حاول أن يعيد نشاطه من جديد وأنه إذا حلت عليه مثلاً مصيبة أو مشكلة لم يستسلم لها إنما عاود الكرة مرة وثانية وثالثة ورابعة، ويرضى بما كتب الله وليعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ثانياً: منهج القرآن في توضيح علاقة الناس بالقضاء والقدر:

يمكن تحديد علاقة الأنسان بالقضاء والقدر من خلال ثلاثة أقسام.(غريب، ١٤٠٥هـ، ص١٤).

القسم الأول: قضاء يستوجب الصبر:

وهو كل ما يحدث للإنسان بدون تدخل من إرادته والإيمان به عزاء، والصبر عليه واجب، وأجر الصبر والاحتساب أعظم من فقد الدنيا كلها ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)

من ذلك ذكاء المرء وغباؤه، وطول العمر وقصره، ووسامة الوجه وقبحه، وسعة الرزق وضيقه.

إن الدنيا النُّخال على الدقيق، وتقطف شبابا يؤمل بقاؤهم، وترد إلى أرزل العمر من نتمنى موته رحمة به أو رحمة للآخرين، وتغيب الحكمة عنا، ولا نملك إلا الصبر والتسليم.

القسم الثاني: قضاء يستوجب المعالجة:

وأعني به ارتباط الأسباب بالمسببات، مع إيماننا بأنّ الله خالق الأسباب والمسببات،

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

وواجب المسلم أن يبذل كل جهده في تحصيل الأسباب الموصلة عادة للنجاة فإذا استنفد طاقته، فما يتمُّ بعد ذلك فهو قدر الله، فالمريض لا بد أن يعالج، والطالب لا بد أن يذاكر، وقواد الجيوش يعدون ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل لقتال عدو الله. علينا أن نأخذ بكل الأسباب، والأسباب في حد ذاتها من قدر الله، فما يتمَّ بعد ذلك فهو قدر الله. علينا أن نسعى، وليس علينا إدراك النجاح.

القسم الثالث: قضاء أنت فيه حرٌّ، وفي حدود الحرية محاسب

وهذا النوع يتعلق بسلوك الإنسان إزاء التكاليف الشرعية.

ذلك لأن التكاليف والمسئولية لا يكونان إلا حيث تتوفر الإرادة الحرة للإنسان.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠) فالقرآن يثبت نوعاً من المشيئة، يوجه بها قدرته إلى ما يختار. ولكن هذه المشيئة، لا تخرج الإنسان من دائرة العبودية لله، الذي انفرد وحده بفعل ما يريد. فمشيئتنا عطاءٌ من مشيئة الله سبحانه ومشيئة البشر واختيارهم لا تتجاوز في النهاية ما أراده الله.

نتيجة البحث:-

من خلال هذه الدراسة يتبين لنا من مكانه القدر على النحو التالي:

١- ارتباطه بالإيمان بالله: فالقدر قدرة الله، والمؤمن به مؤمن بقدرة الله، والمكذب به مكذب بقدرة الله عز وجل، ثم إنه مرتبط بحكمة الله عز وجل وعلمه، ومشيئته، وخلقه.

٢- أنه من الموضوعات الكبرى: التي خاض فيها جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وأديانهم؛ والتي شغلت أذهان الفلاسفة، والمتكلمين، وأتباع الطوائف من أهل الملل وغيرهم.

٣- ارتباط القدر بحياة الناس وأحوالهم: فهو مرتبط بحياتهم اليومية وما فيها من أحداث وتقلبات ليس لهم في كثير منها إرادة أو تأثير.

٤- ولو لم يكن هناك إلا مسألة الحياة والموت، وتفاوت الناس في الأعمال والمواهب،

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

والغنى والفقر، والصحة والمرض، والهداية والإضلال لكان ذلك كافياً في أن يفكر الإنسان في القدر.

٥- كونه أعوصَ أبواب العقيدة: فمع أن باب القدر معلوم بالفطرة كما مر وأن نصوص الشرع قد بينته غاية البيان إلا أنه يظل أعوص أبواب العقيدة.

٦- ومن التوصيات التي يوصي بها في نهاية هذ البحث: الاهتمام بهذا الموضوع من خلال الكتابة العميقة في موضوع القدر وبيانه حق البيان وتحليل ومناقشة الشبهات التي تتعلق به

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن منظور، محمد بن مكرم.(١٤١٤هـ).لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت.
٢. ابن كثير، احمد.(١٤١٤هـ).البداية والنهاية، تحقيق أحمد عبدالوهاب فتيح، ط٣، دار زمزم، الرياض.
٣. ابن الأثير ، مجد الدين المبارك بن محمد.(١٩٧٩م).النهاية في غريب الحديث والأثر، تح / طاهر أحمد الزاوى
٤. ابن كثير.(١٩٨٨م).تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، ط١، بيروت.
٥. ابن الجوزي.(١٩٨٧م).زاد المسير في علم التفسير، ط٤، المكتب الإسلامي.
٦. الأشقر العتيبي، عمر بن سليمان بن عبد الله.(دون تاريخ) القضاء والقدر، ط ١٣، دار النفائس للنشر
٧. بن مهدي آل مهدي، الشيخ فالح.(١٤٠٦هـ). التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، ، ط٢، .
٨. الجوزي.(١٤٠٦هـ).الفوائد، تحقيق محمد الخشت، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت.
٩. الجوزي.(لاتا).شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحرير الحساني حسن عبدالله- مكتبة دار التراث، القاهرة.
١٠. الجرجاني، على بن محمد بن على.(١٩٨٣م). كتاب التعريفات، تح / مجموعة من العلماء ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
١١. الجوزي.(١٤٠٨هـ).عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، تح/ محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٢. ديوان عنترة.(١٣٩٨هـ). دار صادر، بيروت.

ISSN 1997-6208 Print
ISSN 2664 - 4355 Online

١٣. الدينوري، مسلم بن قتيبة.(٢٠٠٠م) تأويل مشكل القرآن، تح/ إبراهيم شمس الدين، ط١، مؤسسة الرسالة.
١٤. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد.(٢٠٠٦م) سير أعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة.
١٥. الزركلي، خير الدين.(١٩٧٩م)، الأعلام، ط٢، دار العلم للملايين.
١٦. الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين(٥٠٢هـ).مفردات القرآن.لامكان.
١٧. زكي صفوت ، أحمد.(١٩٦٢م). مهرة خطب العرب، البابي الحلبي، ط٢.
١٨. زرزور، نعيم.(لاتا)ديوان الإمام على، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٩. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله.(٢٠٠٠م) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح / عبد الرحمن بن معلا اللويحق ط/١-مؤسسة الرسالة.
٢٠. السفاريني، شمس الدين.(١٩٨٢م).لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، ط٢، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.
٢١. الشهرستاني.(دون تاريخ).الملل والنحل، تح/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
a. محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٢. الطبري، محمد بن جرير.(٣١٠هـ)جامع البيان في تأويل القرآن، لا مكان.
٢٣. العسكري، أبو هلال.(٣٩٥هـ)الفروق اللغوية، تح / محمد إبراهيم سليم، دار العلم، القاهرة، مصر.
٢٤. والتوزيع، الأردن.
٢٥. عبدالملك بن قريب بن عبدالملك، أبو سعيد.(دون تاريخ) الأصمعيات، تح/ أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام محمد هارون، ط٥، بيروت، لبنان.
٢٦. القزويني الرازي، أحمد بن فارس بن زكرياء.(١٩٧٩م).معجم مقاييس اللغة، تح / عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت.
٢٧. الماوردي.(١٩٨٧م). أدب الدنيا والدين، تح/ د. محمد الصباح، دار مكتبة الحياة، بيروت.
٢٨. مجلة البحوث الإسلامية، (١٤١٣هـ). الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، العدد ٣٤.
٢٩. مجلة البحوث الإسلامية، (١٤١٣هـ). الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، عدد ٣٤.
٣٠. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله.(١٩٩٣م) معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح / إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.